الباب الخامس

في ذكر المرض وبيان فضله، وذكر الأخبار والآثار الواردة فيه، وشيء من الرُّقى

فأقول : المرض حال للبدن ، خارج عن المجرى الطبيعيِّ ، تنال به الأفعال[١] الضررَ من غير متوسِّط وهو من أعظم الأسباب في توبة العبد ، وإنابته إلى ربه عز وجل ، وفي حثِّه على فعل القُرُبات ، وعمل الخيرات ، ومن حكمه ، كَرم الله عز وجلَّ ولطفه بعبده ، جعل مرضه كفارة له وتوبه[٢] ، حتى إذا قام من مرضه ، بمنزلة مَن لا ذنب له ، وإن مات مريضاً كان بمنزلة الشهداء .

رُوي عن أبي هريرةﷺ ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال« **مَن ماتَ مَريضاً ماتَ شَهيداً ، ووُقيَ فتنَة[٣] القبرِ ، وغديَ وريح عليه برزقه من الجَنَّة**» . رواه ابن ماجه [٤] .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة ، أنَّهما سَمعَا رسولَ الله ﷺ يقول : «**ما يُصيبُ المُؤمنَ من وصَب ، ولا نصَب ، ولا سَقَم ، ولا حُزن ، حتَّى الهَمِّ يُهمُّه ، إلاَّ كُفِّر به عن سيِّئاته**» . أخرجاه في «الصحيحين»[٥] .

[قال أهل اللغة : الوصَب : الوجع الملازم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ [الصافات : ٩] أي : لازمٌ ثابت][٦] .

---

(١) في (ط) : «الأعضاء» ، وانظر «القانون» ١/٧٣ .

(٢) في (ط) : «لذنوبه» .

(٣) في (خ) : «فتاني» ، والمثبت من (ط) وابن ماجه .

(٤) ابن ماجه (١٦١٥) ، وقال البوصيري في «الزوائد» (٥٩٤) : هذا إسناد ضعيف . وقال الرازي في «العلل» ١/٣٥٨ : هذا خطأ ، إنما هو : «من مات مرابطاً» غير أن ابن جريج هكذا رواه ، وسئل أبو زرعة عن هذا الحديث فقال الصحيح : «من مات مرابطاً» . وهذا الحديث صحيح أخرجه أحمد في «مسنده» (٩٢٤٤) من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٥) البخاري (٥٦٤١) ، ومسلم (٢٥٧٣) .

(٦) ما بين معقوفين ليس في (خ) والمثبت من (ط) .

وروي عن عامر الرَّامي أخي الخُضْر[١] أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ المُؤمنَ إذا أصابَهُ السَّقَمُ ، ثم أعفاهُ اللهُ منه ، كانَ كفَّارَةَ لما مضى من ذنُوبه ، وموعظةً له فيما يُستقبَل ، وإنَّ المُنافقَ إذا مرضَ ثم أُعفِي كانَ كالبَعير ، عَقَلَه أهلُه ثم أرسَلوهُ ، فلم يَدرِ لمَ عقلُوه ، ولم يَدرِ لمَ أرسَلوه**» ، فقال رجل ممن حوله : يا رسول الله : وما الأسقام؟ والله ما مَرضت قطُّ؟ قال : «**قُم عنَّا ، فلَستَ منَّا**» . رواه أبو داود[٢] .

وعنه ﷺ أنَّه قال : «**عَجبتُ للمُؤمن وجزَعه من السقَم ، ولو يَعلمُ ما لهُ في السقَم ، لأَحَبَّ أَن يكُونَ سقيماً ، حتَّى يَلقَى اللهَ تعالى**» . رواه البزار وغيره[٣] .

وعنه ﷺ أنَّه قال : «**أَكثَرُ شُهداء أمَّتي أَصحابُ الفرش ، ورُبَّ قَتيلٍ بين الصفَّين ، واللهُ أعلمُ بنيَّته**» . رواه ابن أَبي شيبة وغيره[٤] .

وعنه ﷺ أنَّه قال :« **ما من امْرئٍ مُؤمن ولا مُؤمنَةٍ يمرَضُ إلاَّ جعلَهُ اللهُ كفَّارة لما مضى من ذُنوبه**»[٥] .

وعنه ﷺ أنَّه قال :«**مَثَلُ المؤمن إذا برئ وصحَّ من مرضه ، مَثَلُ البردة تقع من السَّماء في صَفائها ولونها**» . أخرجه البزار[٦] .

---

(١) في (خ) :«بن الدام» وفي (ط) :«بن الرام» ؛ وانظر «الإصابة» ٢٦١/٢ ، والخضر : حي من محارب خصفة ، وهم بنو مالك بن طريف بن خلف بن محارب . انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٢٦٠ .

(٢) أبو داود(٣٠٨٩) ، وقال المنذري في «الترغيب» في إسناده راو لم يسم .

(٣) البزار في «مسنده» (١٧٦١) وأخرجه أيضاً الطيالسي في«مسنده» (٣٤٧) ، والطبراني في «الأوسط» (٢٣١٧) ، وأبو نعيم في«الحلية» ٢٦٦/٤-٢٦٧ ، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٣٧) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه . وأورده الهيثمي في«مجمع الزوائد» ٣٠٤/٢ وقال : وفيه محمد بن أبي حميد ، وهو ضعيف جداً .

(٤) لم نقف عليه عند ابن أبي شيبة في«مصنفه» وأخرجه أحمد في«مسنده» (٣٧٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود ، وهو حديث ضعيف .

(٥) أخرجه البزار في «مسنده» (٢٤٤٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٠٣/٢ وقال : وفيه يوسف بن خالد السمتي ، وهو ضعيف .

(٦) البزار كما في «مجمع الزوائد» ٣٠٣/٢ ، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٠٨٦) ، وقال الهيثمي : وفيه الوليد ابن محمد الموقري ، وهو ضعيف .

وعنه ﷺ أنَّه قال : «**الأمراضُ كفَّارة لما مضَى ، ومواعظُ لما يُستأنَف**» . رواه أبو نعيم في «الطب النبوي» .

وعن عطاء بن يسار أن النبي ﷺ قال : «**إذا مرضَ العبدُ بَعثَ اللهُ إليه ملَكَين ، فقال : انظرا ما يقولُ لعُوَّاده ، فإن هو إذا جاؤوه حَمدَ اللهَ وأثنى عليه ، رَفعا ذلكَ إلى الله تعالى وهو أعلَمَ ، فيقولُ : لعَبدي عليَّ إن توفَّيتهُ أن أُدخلَه الجَنَّة ، وإنَ أنا شفَيتُه أن أبدلَه لحماً خيراً من لَحمه ، ودَمًا خيراً من دمه ، وأن أُكفِّر عنه سيِّئاته**» . أخرجه مالك في «الموطأ» [(١)] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : دخلَ رسول اللهﷺ على شابٍّ وهو في الموتِ فقال النبيُّ ﷺ : «**كيفَ تجدُكَ**»؟ قال : أرجو اللهَ ، وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : «**لا يجتَمعان في قلبِ مُؤمنٍ في مثلِ هذا الموطنِ إلا أعطاهُ اللهُ ما يَرجُو ، وآمنهُ ممَّا يَخافُ**» . رواه ابن ماجه [(٢)] .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «**إنَّ الصُّداعَ والمَليلَةَ لا تزالُ [(٣)] بالمُؤمن ، وإنَّ ذَنبَه مثلُ أُحُد ، فما تَدَعُه وعليه من ذلك [(٤)] مثقالُ حبَّة من خردَل**» [(٥)] .

وعن جابر ﷺ قال : دخلَ رسولُ اللهﷺ على أمِّ السائب يعودُها ، فقال : «**مالَك تُرَفْرفينَ**» ؟ فقالت : الحمَّى ، لا باركَ الله فيها ، فقال : « **لا تَسُبِّي الحمَّى فإنَّها تُذهبُ خَطايا بني آدمَ كما يُذهبُ الكيرُ خَبثَ الحَديد**» . رواه مسلم [(٦)] ، وقد تقدم ذكره [(٧)] .

---

(١) «الموطأ» ٢/٩٤٠ .

(٢) ابن ماجه (٤٢٦١) ،وأخرجه أيضا الترمذي (٩٨٣) قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلا . قال الرازي في«العلل» ٢/١٠٤-١٠٥ : وهو أشبه .

(٣) في (خ) : «يولعان» والمثبت من (ط) وأحمد .

(٤) في (خ) : «حتى لايدعا عليه من ذنبه» ، والمثبت من (ط) وأحمد .

(٥) حديث ضعيف ، أخرجه أحمد في«مسنده» (٢١٧٢٨) . والمليلة : الحمى في العظم . «السندي» .

(٦) مسلم (٢٥٧٥) .

(٧) في شرح الحديث الرابع من الباب الأول .

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنَّه قال : «**إذا مَرِضَ العبدُ أو سافَرَ ، كُتِبَ له مثلُ ما كانَ يعمَلُ مُقيماً صَحيحاً**» . أخرجه البخاري[١] .

وعن مالك عن يحيى بن سعيد ، أنَّ رجلاً جاءه الموتُ في زمان رسول الله ﷺ ، فقال رجلٌ : هَنيئاً له ، مات ولم يُبتلَ بمرض . فقال رسول الله ﷺ : «**وَيحَكَ ، ما يُدريكَ لو أنَّ اللهَ ابتَلاهُ بمَرضٍ يُكَفِّر به مِن سيِّئاته**» . أخرجه مالك في «الموطأ»[٢] .

وعن الحارث بن سُويد ، عن عبد الله بن مسعود قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو متوعِّكٌ فمَسسْتُه ، فقلت : يا رسولَ الله ، إنَّك لتوعَكُ وَعْكاً شديداً؟ فقال : «**أجلْ ، إنِّي أوعَكُ كما يوعَكُ رجلان منكم**» قال : فقلت : ذلك أنَّ لك أجرين؟ قال : [«**نعم ، والذي نفسي بيده ، ما على الأرض**][٣] **مسلم يصيبُهُ أذى مِن مَرضٍ فما سواهُ ، إلاَّ حَطَّ اللهُ به خطاياه ، كما تَحط الشَّجرةُ وَرَقَها**» . أخرجاه في «الصحيحين»[٤] .

وعن عُروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : «**ما مِن مَرضٍ أو وَجعٍ يُصيبُ المؤمنَ إلاَّ كان كفَّارة لذَنبه ، حتى الشَّوكةَ يُشاكُها أو النَّكبةَ يُنْكبُها**» أخرجاه في «الصحيحين»[٥] .

وعنه ﷺ أنَّه قال :« **مَثَلُ العبدِ المؤمنِ حينَ يُصيبُه الوَعَكُ والحمَّى ، مَثَلُ حديدةٍ تُدخَل النَّارَ ، فيذهَبُ خَبثُها ، ويبقَى طيبُها**» . رواه البزار[٦] .

---

(١) البخاري (٢٩٩٦) .

(٢) «الموطأ» ٩٤٢/٢ .

(٣) ما بين معقوفين في (ط) : «أجل ، ما من مسلم» .

(٤) البخاري (٥٦٤٧) ، ومسلم (٢٥٧١) واللفظ لمسلم .

(٥) البخاري (٥٦٤٠) ، ومسلم (٢٥٧٢) (٤٩) بلفظ :«ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كفر بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها» . وأخرجه بهذا اللفظ أحمد في«مسنده» (٢٥٣٣٨) .

(٦) البزار في «مسنده» (٣٤٥٦) ، وأخرجه أيضاً الحاكم٣٤٨/١ ، والبيهقي ٣٧٤/٣ من حديث عبد الرحمن بن أزهر رضي الله عنه . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وعن جابر بن عبد الله ، عن النبي ﷺ أنَّه قال : «**إنَّ الحُمى تُذهب خطايا بني آدم ، كما يُذهب الكير خَبث الحديد**» انفرد بإخراجه مسلم[١] .

وعن عثمانَ بن [أبي العاص][٢] ﷺ ،أنَّه شَكى إلى رسول الله ﷺ وجَعاً يجدُه في جسده منذ أسلَم ، قال : فقال لي رسول الله ﷺ : «**ضَع يَدكَ على الذي يألمُ من جَسدكَ وقل : بسمِ الله ثلاثاً ، وقل : أَعوذُ بالله وقُدرَته من شرِّ ما أجدُ وأحاذِرُ ، سبعَ مَرَّات**» . أخرجه مسلم[٣] .

وعن أنس بن مالك ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : «**إذا اشتَكيتَ فضَع يَدكَ حيثُ تَشتكي ، ثم قل : بسمِ الله ، أعوذ بعزَّة الله وقُدرَته من شَرِّ ما أجِد من وجَعي هذا . ثم ارفَع يَدكَ ، ثم أعِد ذلك وِتراً**» . رواه الترمذي[٤] .

روي عن الأصمعي قال : اشتكى رجل من أهل البادية ، فطالت شكايتُه ، وكثرت أسقامُه ، فقيل له : كيف تجدُك يا فلان؟ فأنشأ يقول[٥] : [الطويل]

تعَوَّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حتَّى ألفتُه ... وأحوَجَني طُولُ البَلاء إلى الصَّبر

ووسَّعَ قَلبي للأَذَى الأُنسُ بالأذَى ... وقد كُنتُ أحياناً يَضيقُ به صَدري

رُوي عن أبي هريرة ﷺ قال : خرجتُ أنا ورسولُ الله ﷺ ، فمرَرنا برجل رَثِّ الهيئة ، فقال له النبيُّ ﷺ : «**أَيْ فُلانُ ، ما بَلغَ بكَ ما أَرَى**»؟ فقال : يا رسول الله ، السَّقَمُ والضرُّ ، فقال النبي ﷺ : «**ألا أعلِّمكَ كلمات تُذهبُ عنكَ الضرَّ والسَّقم**»؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال :«**قل : تَوكَّلتُ على الحيِّ الذي لا يَموتُ ، الحمدُ لله الذي لم**

---

(١) مسلم (٤٥٧٥) وتقدم في الباب الأول في شرح الحديث الرابع .

(٢) ما بين معقوفين جاء في (خ) و(ط) : «بن العاصي» والمثبت من صحيح مسلم وهو الصواب .

(٣) مسلم (٢٢٠٢) .

(٤) الترمذي (٣٥٨٨) ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٥) انظر البيتين دون القصة في «عيون الأخبار» ١٩٠/٣ عن بعض المحدَثين ، وفي«زهر الآداب» ٨٩/١ من كلام موسى بن عبد الله بن علي بن أبي طالب ، و«جمهرة الأمثال» ١٨٥/١ وعزاه لأبي العتاهية قيل لغيره .

يتَّخذ ولَداً ولم يكُن له شَريكٌ في الملك ، ولم يكُن له وَليٌّ من الذُّلِّ وكبِّرهُ تَكبيراً»
قال : ثم أتى عليه رسول اللهﷺ بعدُ وقد حسُنَ حاله ، فقال : يا رسول الله : لم أزل أقول الكلماتِ التي علمتني[١] .

وقد قيل : إنَّ المرض حاجب ملك الموت ، والعشق مرض النفس ، والهمُّ مرض القلب ، والغمُّ مرض الكبد ، والغضب مرض المرارة ، والحقد مرض الرئة ، ورؤية القبيح مرض البصر ، واستماع الرديء مرض السمع ، والفقر مرض الأحرار ، والطَّمع مرض الدِّين .

ومن أحسن ما جاء في مدح المرض قول الفضل بن سهل ذي الرياستين :

إنَّ في المرض فوائد لا ينبغي للعقلاء أن يَجحدوها ، منها : المعرفة بقدر العافية ، وتمحيص الذنب ، والحثُّ على الصدقة ، وقَرع باب التوبة ، وتطهير البدن من موادِّ العلة .

وقال حسن البصري : إنَّ العبد ليُبتلى في ماله فيصبر ، فلا يبلغ بذلك الدرجات العُلى ، ويبتُلى في وَلده فيصبر ، فلا يبلغ بذلك الدرجات العُلى ، ويُبتلى في بدنه فيصبر ، فيبلغ بذلك الدرجات العُلى .

ورُوي عنه أنَّه قال : بَدن لا يَشتكي مثلُ مال لا يُزكَّى .

ومن آداب المؤمن في مرضه : الصبر والرضا ، والتسليم لحكم القضاء . ففي الحديث : «**مَن وُعِكَ ليلةً ، فصبرَ ورَضيَ بها عنِ الله ، خرَجَ مِن ذُنوبه كهيئَةِ يوم وَلَدتهُ أمُّه**»[٢] .

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٦٧١) ، والطبراني في «الدعاء» (١٠٤٥) ، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٤٦) ، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥٢/٧ وقال : وفيه موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف .
وأخرج الحاكم ٥٠٩/١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «ماكربني أمر إلا تمثل لي جبريل ، فقال : يا محمد ، قل توكلت على الحي... » ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٨٣) ، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٦٨) من حديث أبي هريرة .

ومن آدابه كثرة تضرُّعه ؛ ففي «الإنجيل» : إن الله ليصيب العبدَ بالأمر يكرهه ، وإنَّه ليحبُّه ، لينظرَ كيف تضرُّعُه إليه . فنسأل الله أن يرزقنا رجوعاً إليه ، وعُكوفاً عليه ، من غير بَلوى لا نطيق حملها ، وشدة لا ننهض بثقلها ، وأن يجمع لنا ما فيه لطفه بنا ، ورضاه عنا ، وهو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

❑ إن العامل النفسي له دور كبير في شفاء المريض أو على العكس في سوء حالته الصحية وتردِّيها والوصول بصاحبها إلى التهلكة . كما أن الهمَّ والغمَّ والشدَّات النفسية لها أثر في حصول العديد من الأمراض . وإن خوف المريض وتفكيره في النتائج السيئة المحتملة من مرضه الذي أصيب به ، كثيراً ما يكون سبباً رئيسياً في تعقد حالته المرضية .

❑ ومعروفة في (الطب النفسي) تلك الأمراض التي يعود سببها فقط إلى (الخوف والمرض) وهكذا نجد في تربية النبي ﷺ ودعوته إلى الصبر ، وإلى التفاؤل بالشفاء ، ومن ثمَّ بالأجر الجزيل والثواب العظيم الذي يناله الصابرون . وكذا تأكيد النبي ﷺ أن لكل داء دواء ، يجعل المؤمن أقوى في التصدي لعوارض مرضه وأقدر على التخلص منه ، ودفع الوساوس والأفكار التي تراوده والتي تسيء إلى حالته الصحية وإن الإيمان الجازم عند المسلم في قوله تعالى : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ يندرج في عداد أرقى الوصفات الطبية التي يقرها الطب النفسي الحديث .

❑ المرجع : «روائع الطب الإسلامي» (القسم العلاجي) للدكتور محمد نزار الدقر .